الفصل الأول :
شعراء من الهواة

١. كامل الخلعى

٢. بديع خيرى

٣. مصطفى نجيب

٤. حسين حلمى المانسترلى

٥. على شكرى

٦. حسين والى

٧. يحيى محمد

٨. عبد الرحمن فياض

●● تمهيد :

شعراء لأم كلثوم من نوع آخر

أنا على يقين من أن كلمة «نوع» التى اخترناها ضمن عنوان هذا التمهيد قد تثير البعض.. لاعتقادهم بأنها كلمة لا تناسب أبداً مقام الشعراء الرفيع! وذلك لكثرة استخدامها فى مجال التمييز بين الأشياء الجامدة!، واصرارى على استخدامها فى هذا المقام رغم هذا الخلاف هو للتمييز بين نوعين من الشعر ومن الشعراء.. الأول النوع الفصيح والثانى النوع العامى!. إذا أصبح لدينا الآن فريقين أو نوعين من هؤلاء الشعراء.. نوع أو فريق من شعراء الكلام العربى الفصيح، ونوع ثان من شعراء الألفاظ العامية التى تنطلق فى آفاق كل بلد من البلدان العربية.. وكأنما هى لغة بذاتها!.

* * *

ولقد سبق لنا القول بأن سيدة القصيدة العربية أم كلثوم كان لها السبق وكذلك الشرف فى التعامل مع هذين النوعين أو هذين الفريقين. وبما أننا قد تناولنا فى الباب السابق كل ما يتعلق بالحديث عن أم كلثوم وشعراء الفصحى، فقد بقى لنا من الحديث ذاته كلام كثير على جانب كبير من الأهمية. عن علاقة أم كلثوم بالشعر العامى، وكذلك الوقوف على عدد هؤلاء الشعراء الذين تعاملت معهم على مدى أكثر من نصف قرن.

وما نود أن ننوه عنه ونراه أيضا على جانب كبير من الأهمية، أن طريقة التناول ومنهجنا فى الباب الأول حتما سوف يتغير عند الحديث المفصل عن شعراء العامية فى هذاالباب الجديد..

فقد تناولنا فى الباب الأول وبالحديث المفصل القصيدة أو القصائد التى تغنت بها أم كلثوم.. سواء من حيث التعديلات التى كانت تجريها على هذه القصائد.. أو من حيث ماكتبه الشاعر فى ديوانه.

ولقد بينا وفق هذا المنهج طريقة التناول سواءمن حيث الاختلاف أو الاتفاق بين الشاعر وبين أم كلثوم.. وقد ساعدنا كثيراً على ذلك وجود القصائد الأصلية لهؤلاء الشعراء مكتوبة داخل أوراق دواوينهم، مما مكننا من الرجوع إليها ومضاهاتها بما كانت تغنيه أم كلثوم!.

أما بالنسبة لحديث هذا الباب.. فقد وجدنا من الصعوبة تطبيق المنهج السابق.. إذ لاحظنا، وهى ملاحظة تستحق الدراسة والتعليق، أن معظم.. بل وربما كل شعراء العامية الذين أطلقوا على أنفسهم خطأ.. «شعراء الأغانى».. لم يعبأوا بنشر ما كانوا يكتبونه سواء لأم كلثوم أو لغيرها فى دواوين منشورة، أو مطبوعة!!.

وهذه الظاهرة لم تفرق بين شاعر عامية محترف أو هاوٍ، وعدم وجود مثل هذه الدواوين المطبوعة.. صعب من مهمة اكتشافنا لأهم التعديلات التى أجرتها أم كلثوم على هذه الأغنيات، اللهم بعض القصائد التى كانت تنشر فى الصحف ويتحدث مؤلفوها عن أهم ما تم تعديله من كلمات بناء على طلب أم كلثوم، وهى على قلتها قد أثبتت أن أم كلثوم كانت تمد يد التغيير إلى هذه الأغنيات مثلها فى ذلك مثل القصائد الفصيحة!.

* * *

كذلك مما لاحظناه فى مجال شعراء العامية.. أن هناك شاعراً واحداً وشاعرين على الأكثر قد كتبا لأم كلثوم أكثر من عشرين أغنية، وهذا الكم الكبير أيضا سوف يجعلنا نعزف عن نشر هذه الاغنيات إلا من أشهرها.. مثلما كنا نفعل ذلك من قبل ومع قصائد الفصحى.

هذه الملاحظة كانت واضحة للغاية فى مجال شعراء العامية المحترفين خاصة من أمثال أحمد رامى وبيرم التونسى وعبد الوهاب محمد ومرسى جميل عزيز.

وأما بالنسبة للشعراء الهواة.. فهم من الذين كتبوا لأم كلثوم أغنية واحدة أو أغنيتين أو أكثر ولذلك فسوف يكون لهؤلاء نصيب كبير من النشر خاصة لتلك الأغنيات التى كتبوها لأم كلثوم .. مع تعريف بهؤلاء الشعراء.. شأنهم فى ذلك شأن غيرهم سواء من شعراء الفصحى أو شعراء العامية المحترفين.

ولسوف نتعجب حين نعرف أن رائدا مسرحياً مثل بديع خيرى قد كتب لأم كلثوم وكذلك الملحن المشهور كامل الخلعى.. والسياسى مصطفى نجيب والد الفنان سليمان نجيب.. وآخرين.

١ كامل الخلعي

وثلاثة أدوار غنائية من تأليفه!

كنا حين تحدثنا من قبل عن ألوان الغناء التى احترفتها أم كلثوم على مدى رحلتها الفنية الطويلة.. ذكرنا أن سيدة القصيدة العربية إنما نجحت نجاحاً باهراً فى إتقان ألوان بعينها .. مثل القصائد والأغنيات والمولونوج والأوبرا!.

وفى هذه المرة سوف نتحدث عن لون جديد احترفته أم كلثوم ولاقى عند جمهورها استحساناً كبيراً. وهو الذى أطلق عليه النقاد من أهل الموسيقى اسم «الدور الغنائى»!.

ولقد ذاع صيت سيدة القصيدة العربية فى هذا النوع من ألوان الغناء خلال فترة الثلاثينيات من القرن الماضى، حتى أصبحت تنافس زعماء هذا اللون من فنون الأغنية من الذين طوروه على مدى أعوام طويلة!.

ومما لا حظناه فى هذا السياق «أن معظم الذين كتبوا الأدوار الغنائية لام كلثوم كانوا من الشعراء الهواة!. وعلى رأسهم الموسيقى المشهور كامل الخلعى!!. الذى كان فى هذه الفترة أحد أعمدة هذا الفن تأليفاً وتلحيناً!!.

ولما كنا قد أشرنا من قبل إلى صور الغناء وألوانه الذى أتقنه أم كلثوم مثل القصيدة والمونولوج والأوبرا.. فإننا هذه المرة سوف تلقى بعض الأضواء المبهرة على الدور الغنائى من حيث تاريخه وتطوره. والسبب الرئيس وراء ذلك هو كامل الخلعى نفسه.. الذى كتب لأم كلثوم ثلاثة أدوار.. هى من أشهر أدوارها على الإطلاق..

ولقد عثرنا على كلام جميل وهام.. عن الدور الغنائى ونشأته وتاريخه فيما سجله الناقد الفنى الراحل كمال النجمى الذى قال عن الدور:

«إن كلمة» الدور فى الغناء ليست من اختراع المسلوب ـ (يقصد الشيخ محمد عبدالرحيم المسلوب أحد رواد الغناء والموسيقى فى بداية القرن التاسع عشر) ـ وأيضا ليست من اختراع معاصريه، فإننا نجدها فى كتاب الأغانى للأصفهانى الذى تم تأليفه قبل ألف سنة.. ونجدها فى الكتب التى جاءت بعد كتاب الأغانى على امتداد الدولة العباسية

خلال مئات السنين، ومن أشهرها كتاب عنوانه: «الأدوار فى معرفة النغم والأدوار» لصفى الدين عبد المؤمن البغدادى الأموى الذى كان مطرب الخليفة المستعصم آخر خلفاء بنى العباس ـ ثم استدعاه هولاكو بعد استيلائه على بغداد سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨م وأمره بالغناء فى حضرته..

ومن العجب أن هذا الطاغية الرهيب قد استولى الطرب ـ عليه حين غناه صفى الدين دوراً من تلك الأدوار ـ ويقال إنه غُشى عليه طرباً فظنوه قد نام ولم يجرؤ أحد على إيقاظه، إلا أن الأدوار التى ذكرها صفى الدين فى كتابه لا تعنى الأدوار بمعناها الذى نعرفه الان..».

ثم يضيف كمال النجمى عن الموضوع ذاته قوله: «وكان الشيخ محمد المسلوب هو الذى مهد طريق «الدور» لزملائه الملحنين والمطربين قبل مائة عام وتلقفه منه عبده الحامولى فغناه ونسج على منواله ثم تقدم محمد عثمان إلى هذا الشكل الفنى الجديد فزاد فيه كثيراً حتى استكمله واستبحر فى صناعته وفق مقامات وإيقاعات لم تكن مطروقة فى أيامه وقد توسع محمد عثمان فى «الدور» وأضاف إليه حتى اعتبره الناس المخترع الحقيقى لهذا الفن الغنائى»[1].

* * *

وأعود مكرراً إلى القول بأنه على الرغم من أن ملحن أهم الأدوار التى تغنت بها أم كلثوم فى أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين هو الفنان دواد حسنى، إلا أن أكثر من كتبوا فى هذا النوع من ألوان الغناء شعراً هو الملحن كامل الخلعى!!، والذى فضلت أم كلثوم كلماته على ألحانه.. وتلك قضية مهمة تستحق المزيد من البحث والدراسة لبيان أسبابها..

ففى عام ١٩٣١ غنت سيدة القصيدة العربية أم كلثوم أولى أغنياتها للشاعر الموسيقار كامل الخلعى وهى التى تقول فيها:

حسن طبع اللى فتنى ... علم القلب الغرام
والجمال اللى أسرنى ... لو تشوفه يا سلام
الهلال فى طلعته ... والغزال فى خفته

(١) تراث الفناء العربى.. بين الموصلى وزرياب وأم كلثوم وعبدالوهاب تأليف: كمال النجمى.

والنسيم فى رقته قال وعزالى نلوم
بانا ساس حرام
العزول بالعين شايفنى أشكى وجدى والهيام
ياعزولى روح ودعنى إيه يفيد كتر الملام
ياريت تشوف ماجرالى والله ما دقت النوم ده ليالى
ده الحبيب من يوم هجرنى حرم على العين المنام

هذا الدور من ألحان داود حسنى .. وسجلته أم كلثوم على أسطوانة جرامفون فى عام ١٩٣١ ثم توالت بعد ذلك أغنيات أم كلثوم لكامل الخلعى وقد غنت له فى العام نفسه أغنيتين أخريتين هما:

الأولى بعنوان: « كنت خالى » : وتقول كلماتها:

كنت خالى لاحبيب يهجر ولافى الحب لايم
إيه جرالى فى الغرام قلبى صبح من العشق هايم
كنت أضحك ع اللى يبكى من غرامه والا بشكى
دى العيون أصل شبكى للنجوم الهوى والبدر حاكم
من لهبى فى انتظار أمرك وفين إنجاز عهودك
ياحبيبى مش حرام بعد الصفا تخلف وعودك
إفتكر ليلة وصالك وأنت سايق لى دلالك
أيوه زكى عن جمالك رق لى واعطف داحسن الود دايم

والأغنية أو الدور الثانى الذى غنته أم كلثوم لكامل الخلعى كان من ألحان داود حسنى أيضاً وتقول كلماته، وهو بعنوان: «قلبى عرف».

قلبى عرف معنى الأشواق لما الحبيب لاف بالعزول
والوجد حرمنى المنام والليل مع العاشق يطول
فى شرع مين اعشق جميل للغير يميل
لكن ده وعدى والسلام
قلبى عليه والله عجيب بعد الصفا إزاى يهون

***

هذا ويحتل الموسيقار كامل الخلعى مساحة كبيرة من كتابات المؤرخين الذين يضعونه فى مقام متقدم داخل صفوف ملحنى أوائل القرن العشرين.. إضافة إلى كونه شاعراً ومؤلفاً موسيقياً كبيراً، كما حفلت هذه الكتابات بعديد من اللقطات الحيوية عن حياته العملية، وكذلك حياته من حيث الميلاد أو الرحيل.. كما ضم كتابه الهام «الموسيقى الشرقية» ملخصاً لترجمة حياته... وقد كتابها صديقه وتلميذه الفاضل عبد الله أفندى كامل..

وأخص ماجاء فى هذه الترجمة أن كامل أفندى الخلعى قد ولد فى مدينة الإسكندرية فى عام ١٢٩٦هـ. ١٨٧٩ م .. وكان والده ضابطاً بالجيش المصرى، ثم جاء به إلى القاهرة فألحقه بإحدى المدارس الأميرية لاستكمال تعليمه..

كما جاء فى «كتاب الموسيقى الشرقية» والغناء العربى» تفصيل أكثر عن حياة كامل الخلعى حيث ذكر المؤلف قسطندى رزق فى الجزء الثالث من هذا الكتاب أن المرحوم محمد كامل الخلعى بن سليمان الخلعى الدمنهورى ولد بالإسكندرية عام ١٢٩٦ هـ .. وجاء به والده وهو صبى إلى مصر حيث أدخله إحدى المدارس الأميرية..ومن آثاره الفنية كتابان فى الموسيقى وضعهما بنفقة أدريس بك راغب..

ثم أضاف المؤرخون على ذلك بقولهم: لقد أحب كامل الخلعى الموسيقى واهتم بتلقى أصولها وحفظ الموشحات ثم تتلمذ على يد أحمد أبو خليل القبانى الدمشقى ولازمه فى رحلاته إلى الشام .. تزود بالمعرفة وكان على علم بإصول الشعر وبحوره وأوزانه ، كما يعد من «أوائل الذين طالبوا بالحفاظ على تراثنا الموسيقى العربى عن طريق التدوين .

ولقد نبغ إلى جانب ذلك فى تلحين الموشحات وأسهم كذلك فى نهضة المسرح الغنائى. وسافر إلى إيطاليا لاستكمال ثقافته الموسيقية.. وتوفى الخلعى فى عام ١٩٣٨ .

ومن أشهر من كتب عن كامل الخلعى الأديب والمفكر الراحل توفيق الحكيم.. حيث تعرف عليه لأول مرة فى عام ١٩٢٣ عندما كلفت فرقة عكاشة كامل الخلعى بتلحين أوبريت «خاتم سليمان» تأليف توفيق الحكيم.

٢ بديع خيرى

هوده يخلص من الله؟!

يحتل الشاعر والمؤلف المسرحى الشهير بديع خيرى قائمة الشعراء الهواة من الذين ارتبطوا بأشعارهم بسيدة القصيدة العربية أم كلثوم!، ومع ذلك فإننا لا نعرف بالضبط كيف تم هذا التعارف بينهما.. ولا يذكر أسباب ذلك التعارف.. حتى بديع خيرى نفسه لم يذكر لنا ذلك، ولا تصدى لبيان هذا الأمر غيره من الذين انشغلوا بسيرة حياته وفنه وإنتاجه المسرحى والشعرى!.

ورغم ذلك فهناك العديد من الشواهد ومن الأسباب أيضا.. التى دفعت أم كلثوم لاختيار إحدى أغنيات أو أدوار بديع خيرى لكى تغنيها فى عام ١٩٣١ ومن تلحين الشيخ زكريا أحمد، وأولى هذه الشواهد والدوافع تعامل كبار المطربين آنذاك مع بديع خيرى مثل منيرة المهدية وصالح عبداحى وعبداللطيف البنا وآخرين..

أضف إلى ذلك انتشار أزجاله وأشعاره على المستوى الشعبى.. خاصة أثناء اندلاع ثورة ١٩١٩، عندما أخذ الناس فى الشوارع يرددون كلمات أغنياته التى كان يلحنها له الشيخ سيد درويش!.

وقد يكون السبب الرئيسى وراء هذا الاختيار خاصة بالنسبة لأم كلثوم.. هو الملحن الشيخ زكريا أحمد.. الذى أراد أن يتعامل مع الشاعر الذى لحن أغنياته ومسرحياته الغنائية من قبل فنان الشعب سيد درويش.

ولقد جاء هذا الاختيار مرتبطا ارتباطاً وثيقاً بنوعية الكلمات التى أتقنها بديع خيرى من قبل وأقبل عليها الملحنون من غير زكريا أحمد!.

ولسوف نلاحظ ذلك بوضوح حين نشير إلى الأغنية التى سجلتها أم كلثوم لبديع خيرى.. كما سوف يلاحظ ذلك أيضا كل المهتمين بتراث هؤلاء الأوائل من الفنانين المصريين من الذين ظهروا مع بداية القرن الماضى.. سواء من حيث تشابه الكلمات أو الجمل اللحنية!.

ولن نغفل إلى جانب ذلك.. دافعا قوياً آخر يتمثل فى شخصية بديع خيرى نفسه الذى

بدأ حياته شاعراً متألقاً.. عاصر كلاً من أحمد شوقى وحافظ إبراهيم.. وأراد أن يسير فى ركابهما الأدبى، لولا اتجاهه نحو الزجل.. واشتهاره فى هذا الميدان.. حتى بات ينشر أزجاله وأشعاره فى معظم صحف هذه الأيام!.

ولسوف نتبين ذلك أكثر حين نتطرق لحديث السيرة الذاتية من بعد استعراض كلمات الأغنية التى غنتها أم كلثوم لبديع خيرى!.

* * *

ففى عام ١٩٣١ ومن تلحين الشيخ زكريا أحمد غنت كوكب الشرق أغنية بعنوان: «هو ده يخلص من الله» ... من كلمات بديع خيرى، وسجلتها على أسطوانة أو ديوان فى العام نفسه..

وتقول كلمات هذه الأغنية التى انقسمت إلى قسمين.. إلى مذهب ودور..

•• المذهب

هوده يخلص من الله ... القوى يذل الضعيف
حتى يبخل بالمطلة ... شىء ولو دون الطفيف
ليه داكله ... مين يقول له
إنه ده ... وخليك لطيف!

•• الدور

قلبى كل ما تقوى نار ... وأنت فيه يتخاف عليك
حد يحرق بس دار ... أوعى تجنيها بايديك

لين شويه مش على
كن على روحك رنيف

صون حلاوتك ... من شقاوتك
واتهدى وخليك لطيف

***

ومما يثير الانتباه.. أن هذه الأغنية أو هذا الدور الذى ألفه بديع خيرى لأم كلثوم ولحنه

زكريا أحمد.. قد حفل باهتمام بالغ من جانب النقاد والمؤرخين الذين اعتبروه من أعظم الأدوار التى غنتها أم كلثوم.. وكذلك من أعظم ما لحنه زكريا أحمد، حيث كتب عنه بالتفصيل المؤرخ الفنى الراحل كمال النجمى.. فى كتابه «تراث الغناء العربى». وذلك عند حديثه عن زكريا أحمد وأدواره التسعة..

ومما قاله فى هذا السياق: «كان أول دور لحنه زكريا أحمد لأم كلثوم هو دور «هو دايخلص من الله» مقام زنجران، تأليف بديع خيرى.. وجاء بعد طقطوقة «إللى حبك ياهناه» عام ١٩٣١ وأحدث صدى واسعاً عند المستمعين، وهو أعظم دور لحنه زكريا أحمد ويتفوق فيه من ناحية الصناعة اللحنية على دور الزنجران الذى اشتهر به سيد درويش «فى شرع مين»!.

وأضاف كمال النجمى على قوله السابق: «أن هذا الدور قمة غنائية، وقد أبرز إمكانات أم كلثوم كمطربة أدوار عظيمة المقدرة إلى جانب كونها مطربة جميع الألوان الغنائية الأخرى. وقد جمعت أم كلثوم فى أداء هذا الدور بين جزالة الأداء المأثور عن المطربين الرجال فى أداء الأدوار، وآخرهم صالح عبدالحى، وبين عذوبة الأداء الكلثومى التى لا تجاريها عذوبة أخرى فى الأداء.. ويمكن القول بأن هذا الدور كان باكورة إبداع زكريا أحمد فى تلحين الأدوار، وهو فى الوقت نفسه أعظم أدواره على الإطلاق، فضلاً عن كونه من أعظم الأدوار فى تاريخ الغناء الحديث»(١).

وكذلك كتبت المؤرخة الموسيقية الدكتورة رتيبة الحفنى عن هذا الدور أو هذه الأغنية الشىء الكثير. فى كتابها الهام «أم كلثوم». ومما قالته فى هذا الشأن قولها: كان فن الدور يوشك أن يطوى أوراقه ويودع الدنيا عندما بدأ زكريا أحمد فى تلحين الأدوار لأم كلثوم، وذلك بداية من عام ١٩٣١.. وهو دور «هو دا يخلص من الله» من تأليف بديع خيرى، وكان زكريا أحمد يحاول تطوير فن الدور، بينما فن الدور يغادر ساحة الغناء المعاصر..

ويبدو أن زكريا أحمد لحن هذا الدور بناء على رغبة أم كلثوم لتعلقها بهذا اللون من الغناء.. فزكريا لم يلحن أدواراً لغيرها من المطربين والمطربات باستثناء دور غنته ليلى مراد،

(١) تراث الغناء العربى.. بين الموصلى وزرياب وأم كلثوم وعبدالوهاب تأليف: كمال النجمى.

ودور آخر غناه عزيز عثمان وثمة دور ثالث غناه زكريا بصوته. وهذه الأدوار الثلاثة جاءت فى الحقبة نفسها التى لحن فيها زكريا أدواره لأم كلثوم»[١].

* * *

هذا عن الدور وأهميته. فى تاريخى الغناء المصرى الحديث، وتاريخ حياة أم كلثوم الفنية.. فماذا عن مؤلفه الشاعر بديع خيرى..؟!

إن هناك العشرات من الكتب التى حفلت بالشىء الكثير عن حياة هذا الأديب متعدد المواهب.. وعلى رأسها مذكرات بديع خيرى نفسه.. والتى نقل عنها العديد من المؤرخين لقطات حيوية متعددة خاصة بحياته ومشواره الأدبى.. منذ مولده وحتى يوم رحيله..

ويقول بديع خيرى عن تاريخ حياته: «أنا ابن شارع المغربلين فى صميم حى الدرب الأحمر وهو واحد من أعرق أحياء عاصمتنا الشعبية.. ولدت فى ١٨ أغسطس ١٨٩٣ لأب كان يشتغل مدير الحسابات فى دائرة الوالدة باشا أم الخديو إسماعيل.. بدأت الدراسة بالكتاب ثم فى مدرسة أم عباس الابتدائية ثم مدرسة الحلمية الثانوية وأخيراً المعلمين العليا»[٢].

* * *

وبعد رحيل بديع خيرى فى عام ١٩٦٦.. حفلت العديد من الصحف والمجلات بلقطات حيوية عن قصة حياته.. وقد اقتطفوها من أحاديثه الصحيفة ومما خلفه وراءه من أوراق سجلها فى كتابه عن ذكريات طفولته.

ومما جاء فى هذه الصحف والمجلات خاصة عن يوم مولده.. أنه ولد بعد صلاة فجر يومى ١٨ أغسطس على ١٨٩٣ بشارع المغربلين بالدرب الأحمر.. والتحق بمدرسة أم عباس الإبتدائية فى الصليبية ناحية القلعة ثم مدرسة الإلهامية الثانوية بالحلمية الجديدة.

وبعد أن حصل منها على شهادة البكالوريا التحق بمدرسة المعلمين العليا.. التى تخرج منها وعمره ٢١ عاماً.. والتى من بعدها عين مدرساً للغة الإنجليزية والجغرافية بمدرسة رفاعة الطهطاوى فى طهطا.

---

(١) أم كلثوم ـ د.رتيبة الحفنى ـ دار الشروق.

(٢) مذكرات بديع خيرى..

وكان بديع خيرى متفوقاً على زملائه أثناء الدراسة خاصة فى مادة اللغة العربية. وقد جاء ذات يوم بالمدرسة بقصيدة من نظمه نشرها فى مجلة «المؤيد». ومن يومها أخذ يبعث بقصائده إلى مختلف المجلات والصحف.

وبعد ٣ سنوات من ممارسته مهنة التدريس كتب أول مونولوج للمنولوجست «فاطمة قدرى».. وتقاضى عنه أجراً. كما أخذ يكتب الشعر والأغانى لمجموعة من مطربى هذه الأيام.

ورغم أن بديع خيرى كان شاعراً مجداً فقد أحب التمثيل فذهب إلى جورج أبيض ليعمل معه فى فرقته.. إلا أنه فشل فى لجنة الامتحان ومن بعدها اتجه للكتابة للمسرح..

وفى لقطة حيوية من حوار أجرته معه إحدى المجلات الإسبوعية قال فيه عن بداية حبه للشعر ودوره آنذاك فى مجال الأغانى.. «إننى شاعر منسى، فقد بدأت أقرض الشعر منذ عام ١٩١٠، وكان شعرى يحتل مكاناً بارزاً فى صحف «المؤيد» ـ «المقطم» ـ «الأفكار». ثم بدأت أنظم الزجل وقد أفردت لى جريدة «الكشكول» بابا أسبوعياً سمته «على تختة السياسة، وكانت أزجالى كلها سياسية انتقادية ثم بدأت أؤلف للشيخ سلامة حجازى وغيره من المطربين».

٣ مصطفى نجيب

موال من تلحين القصبجى

.. ويدخل الشاعر مصطفى نجيب، والد كل من الفنان سليمان نجيب والإذاعى المشهور حسنى نجيب .. دائرة الضوء مرة أخرى عندما اختارت له سيدة القصيدة العربية أم كلثوم دوراً غنائياً أو موالاً من تأليفه لكى يلحنه الملحن الكبير محمد القصبجى وتغنيه بصوتها!

هذا الموال نُشر تحت عنوان : «الليل أهول طال» .. وذكره كتاب جامع ماغنته أم كلثوم والسابق الإشارة إليه من قبل.

ونحن نؤكد هنا إن هذا الشاعر قد دخل دائرة الضوء من جديد بعد أن تغنت أم كلثوم بكلمات هذا الموال.. ذلك لأنه من المعروف أن مصطفى بك نجيب كان موظفاً كبيراً بوزارة الداخلية .. وظل بهذا المنصب حتى يوم رحيله..

أضف إلى ذلك أنه كان شاعراً كبيراً أيضاً، وله عدة قصائد وإغنيات كثيرة، ولكن للأسف لم تُنشر فى دواوين ، وبالتالى ضاعت داخل حناجر من تغنوا بها من غير المطربين المشاهير!.

ولهذا الشاعر سيرة ذاتية طيبة سوف نلتقى بها من خلال أسطر نكتبها من بعد التعرف على كلمات هذا الموال الذى غنته أم كلثوم من ألحان القصبجى فى عام ١٩٣١ .. بل وسجلته على أسطوانة أو ديوان.

وتقول كلمات هذا الموال:

الليل أهو طال وعرف الجرح مبعاده

وجف دمعى وجفنى من دمى عاده

لهفى على القلب لى ذلة وأوعاده

لانار أقول نار ولاهى من الفؤاد تبرح

وإن باح بشكواه لازاره ولاعاده

ولحسن حظ الشاعر مصطفى نجيب.. وحسن حظنا نحن أيضاً .. أننا عثرنا على كلمات هذا الموال فى كتاب صدر بعنوان :«الموسيقى الشرقية والغناء العربى» من تأليف قسطندى رزق.. وهو من إصدارات عام ١٩٣٠ ..

ولقد لاحظنا حين الرجوع إلى أصل كلمات هذا الموال الذى نشر بالكتاب المنوه عنه أن أم كلثوم قد غيرت أيضاً فى بعض الكلمات منها كلمات البيت الثانى .. إذا اختارت أم كلثوم «لهفى» بدلاً من كلمة «عجبى» التى اختارها المؤلف !، وكذلك فى الشطر نفسه غيرت كلمة «فى حبه » إلى كلمة «لى ذلة »!.

وأما فى الشطر الثانى من هذا البيت فقد غيرت أم كلثوم كلمات أدت إلى تغيير معنى هذا الشطر من البيت.. إذ كتبه المؤلف كالتالى :

لا نار أقول نار وهيا فى الفؤاد تبرح

بينما غنته أم كلثوم كالتالى :

لانار أقول نار ولاهى من الفؤاد تبرح

ويقول صاحب كتاب الموسيقى الشرقية فى سطور قليلة عن مصطفى نجيب: و«لمصطفى بك نجيب موالان ودور ومقال فى الفونوغراف وقصيدة عامرة فى هبوط النيل، ومما يؤسف له أنه لو احتفظ بما كتبه ونظمه لأمكنه أن يجمعه فى ديوان قائم بذاته، وهو من أمراء الشعر ومن أكابر الكتاب.. توفى بالإسكندرية فى ٨ أكتوبر عام ١٩٠٢»[١].

ويشير صاحب هذا الكتاب أيضاً إلى أن الشاعر مصطفى نجيب له عدة مقالات صحفية كان يكتبها بصفة دائمة فى مجلة الضياء التى كان يصدرها الشيخ اليازجى فى أوائل القرن العشرين ، كما أورد لنا فى هذا الكتاب أيضاً نصاً لقصيدة كتبها الشاعرمصطفى وكيل إدارة الداخلية فى الحكومة المصرية .. وهى بعنوان «هبوط النيل».

---

(١) الموسيقى الشرقية والغناء العربى - قسطندى رزق.

٤ حسين حلمي المانسترلى

وألف أغنية!

لم أكن أتصور أبداً وحتى من قبل الإعداد لهذه الأوراق .. أننى سوف أكتشف شخصية أدبية بهذا الثراء الفنى والانتاج الأدبى الغزير، والحكاية ببساطة أن كتاب «أغنيات أم كلثوم» قد ذكر أن الشاعر حسين حلمى المانسترلى كتب لسيدة القصيدة العربية أغنيتين أو طقطوقتين لحنهما كل من محمد القصبجى وزكريا أحمد خلال فترة الثلاثينيات من القرن الماضى .

ولذلك فقد حسبت هذا الشاعر الكبير فى عداد الشعراء الهواة من الذين كتبوا لأم كلثوم !، وذلك وفقاً لماكتبه من أغنيات قليلة.. وكدت أغير من مكانه فوق هذه الأوراق ..وأنقله على الفور إلى خانة أو فصل الشعراء المحترفين من الذين تعاملت مع كلماتهم أم كلثوم !، لولا إحساسى بأن هذا الانتقال المفاجئ سوف يخل بالترتيب النهائى الذى ارتضيته منذ البداية لهذه الأوراق وما بها من فصول !.

ذلك لأننى قد حصلت على المعلومات الهامة عن هذا الشاعر الكبير فى وقت متأخر.. وقد تزامن مع ترتيب هذه الأوراق فى شكلها النهائى!

ولذلك أرانى أقدم العذر مشفوعاً بالتسرع، وأرجو أن يقبله كل القراء، وعلى رأسهم بطبيعة الحال السيدة حورية المانسترلى ابنة الشاعر الكبير والتى كان لها الفضل الأول والأخير فى لفت أنظارى وأنظار الآخرين لدور والدها الشاعر الكبير فى حياتنا الأدبية والفنية على السواء..

وعلى أية حال فإن قيمة حسين حلمى المانسترلى كشاعر وأديب كبير .. لن يقلل من قدرها وجوده بين هذه الأوراق .. فى خانة الشعراء الهواة من الذين كتبوا أغنية أو أغنيتين لأم كلثوم!. إذ تبين لنا أن عدد ماكتبه حسين حلمى المانسترلى لكل المطربين فى زمانه .. وحتى قبيل وفاته فى عام ١٩٦٥ ، قد وصل إلى ما يقرب من ألف أغنية، وجميعها مسجلة على أسطوانات بأصوات عشرات المطربين المصريين وعلى رأسهم طبعاً أم كلثوم!.

كما أن لهذه الأغنيات أصولاً مكتوبة بخط يده وتحتفظ بها السيدة حورية ابنته فى أرشيفها الخاص.

ولسوف نوضح ذلك بجلاء حين الحديث بإسهاب عن سيرة حياته ، بعد ما نفرغ من الحديث عن إنتاجه الشعرى والذى تغنت به أم كلثوم.

***

ففى عام ١٩٣١ ومن ألحان الموسيقار محمد القصبجى غنت أم كلثوم أولى إغنياتها للشاعر حسين حلمى المانسترلى بعنوان : «تبعينى ليه كان ذنبى إيه» .. وقد سجلتها أم كلثوم على اسطوانة أو ديوان فى العام نفسه .. وأطلق عليها النقاد اسم «طقطوقة» ..

وهى التى تقول فى كلماتها:

تبيعينى ليه كان ذنبى إيه ... مبن للفؤاد يبقى يواسيه

تبيعينى ليه

فين العهود - فين الوداد ... إيه بس قصدك مر العناد

يرضيكى تعذيب الفؤاد ... وحياة عيونك ترحميه

يعنى حلال وألا حرام ... الهجر منك والخصام

هو اللى يرميه الغرام ... يهون عليكى تعذيبه

ياما اشتكى قلبى هواه ... ياما بكيت وياما قلت آه

ياما سرحت وعقلى تاه ... عاشق وبدك تقتليه

حبيتى نار قلبى الحزين ... وسمعتى نوحى وأنين

فضلت طول عمرى أمين ... وأنا العليل اللى تداويه

***

وفى العام نفسه كررت سيدة القصيدة العربية التجربة مرة أخرى مع كلمات جديدة للشاعر حسين حلمى المانسترلى، وهى طقطوقة من ألحان الموسيقار زكريا أحمد بعنوان :«غصبن عنى» .. ومسجلة كذلك فى العام نفسه على أسطوانة أو ديوان.

وتقول كلمات هذه الأغنية:

الليل يطول ويكيدنى ... والفجر آسى بيضنينى

وبلبل الصبح يزيدنى ... أنينه من جنسى أنينى

يبقى يغنى والدمع بيفيض ... من عينى غصبن عنى

صبرت قلبى اللى شبكنى ... وقلت مهلاً ياجفونى

الحب مارضيش يطاوعنى ... والشوق غلب قلبى وعينى

خيب ظنى

ورجعت للنوح يواسينى غصبن عنى
ليه ياغرامى بتألمنى وتهرب النوم من عينى
عملت إيه بتعذيبى وتسينى للنار تكوينى
ليه تأسرنى
وآسى من سهد جفونى غصبن عنى
مين اللى يقدر ينصفنى غير الحبيب اللى ضنانى
يبعد شجونى ويرجعنى ويشفى قلبى اللى رمانى
كان يسعدنى
والدمع يبعد عن عينى غصبن عنى

***

وفى لقاء تكرر مرتين عبر الأثير ـ جاء صوت السيدة حورية المانسترلى والذى عرفنى بها المؤرخ الموسيقى محمود كامل ـ يحمل إلينا الكثير من المعلومات التى كنا نجهلها .. أو على الأقل كان يجهلها قطاع كبير من الجيل الجديد، وكما سوف تمر علينا بعد قليل ، هى معلومات تكمل لنا دائرة المعرفة عمن كانت تختار أم كلثوم كلماتهم لكى تشدو بها من ألحان كبار الملحنين.

ومن أولى المعلومات التى حرصت على الحصول عليها بهذا الشأن.. معرفة الشىء الكثير عن الميلاد والنشأةوطبيعة العمل، وما ذكرته السيدة حورية المانسترلى فى هذا السياق قولها إن والدها الشاعر والأديب حسين حلمى المانسترلى من مواليد مدينة القاهرة فى ٢٧ فبراير فى عام ١٨٩٨ ، وقد تعلم فى مدارسها ..كما تقلب فى العديد من الوظائف حيث كان يعمل رئيساً للحسابات بوزارة المعارف ثم انتقل مشرفاً أو مراقباً للتربية الدينية والأدبية بالوزارة ذاتها. وقد ظل بهذا العمل حتى تفرغ لكتابة الشعر والأدب، وفى الفترة ذاتها عين المدير الفنى لشركة أو ديون للأسطوانات..وكان هذا المنصب حلقة الاتصال بينه وبين العديد من مطربى عصره من الذين تعرفوا عليه كشاعر، وبالتالى فقد أخذوا يتغنون بكلماته، وكان على رأس هؤلاءكل من أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب، وليلى مراد واخرين.

توفى حسين حلمى المانسترلى فى عام ١٩٦٢ وبالضبط فى ٥ نوفمبر من العام نفسه، وقد ترك وراءه ثروة أدبية كبيرة.. تمثلت فى أكثر من عشرة الآف أسطوانة من أشعاره ومن ألحان كبار رجال الموسيقى فى عصره .. كما كتب سيناريو وحواراً وقصة وأغنية لاكثرمن فيلم سينمائى.. فقد كتب قصة وسيناريو وأغانى فيلم «سلمى» فى عام ١٩٣٣ ، وليلى بنت الصحراء وفيلم «وراء الستار» وغيره من الأفلام الاستعراضية ، كما كتب بعض المسرحيات والأوبريتات الغنائية المشهورة.

٥ حسن صبحى

طقاطيق لها تاريخ

أصبح من الأمور المتعارف عليها، بعد ما أثبتها الزمن فى سجلاته .. أن الفن له ثلاثة أركان، أو هو أشبه بالمثلث ذات الأضلاع الثلاثة.. ضلع يمثله المؤلف.. وهو القاعدة والثانى يمثله المطرب أوالمؤدى، أما الثالث فهو الملحن أو المخرج.

ومما لاحظناه خلال رحلتنا عبر هذه الأوراق، خاصة بالنسبة لسيدة القصيدة العربية أم كلثوم، أن العديد من الذين كتبوا لها القصائد سواء من شعراء الفصحى أو شعراء العامية، لم يكونوا معروفين بالقدر الكافى شأنهم فى ذلك شأن من تعاملت معهم من بعض الملحنين.

وللأسف فإن العيب ليس فى هؤلاء الشعراء.. بل فى الذين أهملوا سير حياتهم إما عمداً أوكسلاً ! ولقد مثلت لنا هذه القضية صعوبة بالغة .. إذ أن قوام هذه الأوراق هوالتعريف بالشاعر صاحب الكلمات التى تغنت بها أم كلثوم .. من منطلق بيان هذه الأضلاع الثلاثة السابق الإشارة إليها، فليس من المعقول ونحن نكتب عن شعراء أم كلثوم.. أن نفسح المجال لحديث المطرب والملحن من دون المؤلف.

ونحمد الله أن هذه القضية قد تمكنا من التغلب عليها بنسبة كبيرة.. وكان دائمًا دليلاً إلى هؤلاء الشعراء ، وسير حياتهم.. الأرشيف ووثائق دار الكتب وما كتبه بعض المؤرخين عن هؤلاء.

وأما النسبة الباقية القليلة والتى لم تسعفنا المعلومات بشأنها .. فقد أصابتنا الحيرة بخصوصها، وقبلنا رغماً عنا الحديث عما كتبوه من أشعار مع بيان بسيط عن حياتهم، على أمل أن نعثر هنا أو هناك على المزيد..

والشاعر الزجال الكبير حسن صبحى يأتى فى طليعة هذه النسبة .. فعلى الرغم من أنه كتب أعذب الكلمات التى شدت بها أم كلثوم فى فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، إلا أن المعلومات المتوفرة عنه قليلة للغاية.. وكل ما توصلنا إليه أن المؤرخ الفنى

كمال النجمى أشار فى أحد كتبه إلى أن الشاعر حسن صبحى، إنما هو زجال عاش فى أوائل الثلاثينات .

وأضاف المؤرخ الموسيقى محمود كامل أن حسن صبحى كان من أصدقاء الملحن زكريا أحمد، ومن شلته الخاصة .. ورغم عذوبة كلماته إلا أن أحداً لم يحفل بالحديث عن سيرة حياته!

ولقد رأينا من العيب ونحن نؤرخ لشعراء أم كلثوم ألا نسوق ما تغنت به من كلمات رقيقة وجميلة . مع أننا كنا نتمنى ـ ولا نزال ـ العثور على معلومات خاصة عن حسن صبحى حتى تكتمل فكرتنا التى بدأناها سوياً منذ بداية هذا المشوار وفوق هذه الأوراق.

***

ومن أجمل ما غنت أم كلثوم من طقاطيق.. أغنية «جمالك ربنا يزيده» والتى لا يزال صداها واسعًا، لدى آذان المستمعين والذين يزيدون يوماً بعد يوم ، هذه الأغنيةلحنها الشيخ زكريا أحمد فى عام ١٩٣١ وسجلتها أم كلثوم على اسطوانة أوديون..

وتقول كلماتها:

جمالك ربنا يزيده ده ملك منظمه سيده
هواك يا حلو نسانى وداد أهلى وخلانى
وصبحت رهين أمرك ماليش غيرك حبيب تانى
وقلبى داب وايه بايده

تشوف القلب لك مايل بيتدلل ويتمايل
وكادنى ربنا يكيده

أدنت بقدرة القادر سبيت الروح بسحر العين
وخدت العقل يا قادر ومش عارف طريقه فين
وإمتى بس حتعيده

***

وفى العام نفسه كتب الشاعر حسن صبحى الطقطوقة الثانية لأم كلثوم ولحنها كذلك الموسيقار زكريا أحمد .. وتقول كلماتها:

ليه عزيز معنى تذله ... كل ساعة بين يديك
بعد صبر العمر كله ... وانشغال قلبى عليك
مش حرام والله حرام

شوف دلالك زى كيفك ... دى الحلاوة فى الدلال
بس خلى العين تشوفك ... يوم وتفرح بالجمال
ليه تكايدنى وطيفك ... حرم الجفن المنام
أعمل إيه والحب ساكن ... مهجتى والوجد زاد
والقوام عادل ولكن ... حكم قاس ع الفؤاد
كل ده والقلب صابر ... وانت هاجر يا سلام
مش حرام والله حرام

الغرام آمر وناهى ... حتى فى أحلام شبابى
حلم يفرحنى خيالك ... فيه وحلم يزيد عذابى
وانت ساهى وعنى لاهى ... حتى ما تبعت سلام
مش حرام والله حرام

***

وفى عام ١٩٣٢ لحن زكريا أحمد للشاعر حسن صبحى طقطوقة جديدة بعنوان «العزول فايق ورايق» وغنتها أم كلثوم، كما سجلتها فى العام نفسه على أسطوانة أوديون ..

وتقول كلماتها:

العزول فايق ورايق ... عمره ما داق الغرام
قلبه ما بيرحمش عاشق ... بس شاطر فى الملام
قلبى لو مال يوم لغيرك ... يبقى عن جسمى غريب
العزول فايق ورايق ... عمره ما داق الغرام
قلبه ما بيرحمش عاشق ... بس شاطر فى الملام
قلبى لو مال يوم لغيرك ... يبقى عن جسمى غريب
وانت لو تسأل ضميرك ... ما تلاقيش غيرى حبيب
حب مغرم وانت عارف ... فيك منيم وانت شايف
بس خايف م الكلام

فى هواك شفت العجايب — آه يا نارى من هواك
عقلى فيك حاضر وغايب — والفؤاد والروح فداك
بس قوللى إيه رأيته — فى الفؤاد اللى كويته
بعد تيهك والخصام
جرح قلبى والعواطف — كل ده محسوب عليك
يمكن الأيام تصادف — واشكى حالى بين إيديك
ليه تعاند بس هاود — واترك العزال وكابد

يبقى حبك ع المرام

***

ويبدو أن أعمال الزجال حسن صبحى قد لاقت إقبالاً لدى جماهير أم كلثوم .. بدليل إصرار زكريا أحمد صديق الشاعر على التعامل مع كلمات جديدة يكتبها .. فلحن له أغنية جديدة فى عام ١٩٣٢ تحت عنوان«أكون سعيد لو شفتك» .. والتى تقول كلماتها:

أكون سعيد لو شفتك يوم — بعد الغياب
وأهنى قلبى بعد اللوم — وانسى العتاب
وأكون سعيد
من حسن حظى فى العشاق — حبيتك انت الروح بالروح
لو تنصف قلبى المشتاق — يرتاح ضميرى انسى النوح
وأكون سعيد
وحياة جمالك لو مريت — سلم على بلحظ العين
لاوهب لك العمر إن حبيت — ومهجتى والروح الاتنين
وأكون سعيد
أبات وحيد والفكر بعيد — بناجى طيفك طول الليل
وكل ما بتزيد وتعيد — تيهك يزيد الشوق والميل
وأكون سعيد

***

وبعد مرور أكثر من أربع سنوات على تعامل كل من أم كلثوم وزكريا أحمد مع كلمات الزجال حسن صبحى.. عاودا التعامل معه حين اختارت سيدة القصيدة العربية آخر ما غنته للشاعر حسن صبحى فى عام ١٩٣٧ لكى يلحنها أيضاً زكريا أحمد وهى أغنية أو دور «آه يا سلام».

والذى تقول كلماتها:

آه يا سلام زاد وجدى آه ... والصبر طال من غير أمل
كوى الهيام قلبى وضناه ... واللى كواه عنه انشغل
إمتى الجميل يصنع جميل ... وافرح واقول حبى عدل
حبيت يا قلبى وايه رأيت ... غير الأسية والهوان
وبتشكى ليه لما انكويت ... ياما نهيتك من زمان

***

ولسنا فى حاجة إلى أن نكرر أننا لم نعثر على معلومات شافية وافية عن الزجال حسن صبحى.. إلا بالقدر الذى تناولناه من قبل .. ولسوف نحاول حتى من بعد إصدار هذا الكتاب مواصلة الجهود لكشف النقاب عن حياة هذا الشاعر الذى تغنت أم كلثوم بكلماته من ألحان الشيخ زكريا أحمد . وحتماً سوف نحصل على معلومات تقودنا لحياة هذا الشاعر وتفاصيلها، وكذلك عن جهوده الأدبية فى مجال الأغنية.

٦ يحيى محمد

٣ أدوار من ألحان الشيخ زكريا

أصبح لدينا قناعة خاصة أن الشاعرالزجال يحيى محمد كان بالفعل من أصدقاء الشيخ زكريا أحمد وفق ما قاله لنا المؤرخ الموسيقى محمود كامل .. والدليل أنه قد اختار له ثلاثة أدوار لحنها لكى تغنيها أم كلثوم، مع وجود خلاف فى الأزمنة التى شهدت غناء أم كلثوم لهذه الأدوار..

ولقد تراوحت سنوات هذه الأغنيات ما بين عام ١٩٣١ وعلى ١٩٣٩ !! وعلى الرغم من ذلك فقد عجزت حيلتنا فى العثور على معلومات شافية وكافية عن هذا الشاعر الزجال إلا بعض أسطر قليلة ذكرها المؤرخ الفنى كمال النجمى فى أحد كتبه.

ولم تنفع جهودنا التى بذلناها من أجل المزيد سواء داخل دار الكتب أو داخل أرشيف الصحف، وما جعلنا نستسلم لهذه الأسطر القليلة هو كلمات هذه الأدوار وهذه الأغنيات الثلاث التى كتبها يحيى محمد .. والتى تدل دلالة واضحة على تمكنه من الشعر والزجل والأغنية.

ففى عام ١٩٣١ تغنت أم كلثوم بكلمات أولى أدوار هذا الشاعر المجهول بعنوان: «ياقلبى كان مالك».. وهى من ألحان الشيخ زكريا أحمد.

وتقول فيها أم كلثوم:

يا قلبى كان مالك ومال الغرام ... ماكنت عنه فى غنى من زمان
إن كان صحيح جه الغرام المرام ... أعشق وحب وميل وشوف إيه كمان
وإن كان غرام أوهام وذل وخصام ... خليك بعيد عنه وعيش فى أمان
ياما الغرام يا قلبى لوع كتير ... غيرك وشافوا المرفيه والعذاب
عايز تعيش العمر كله أسير ... وتكون ضحية للملام والعتاب
إن كان غرام أوهام وذل وخصام ... خليك بعيد عنه وعيش فى أمان

وقد سجلت أم كلثوم هذه الأغنية على أسطوانة أو ديوان فى عام ١٩٣١.

***

وبعد هذا التاريخ بخمس سنوات غنت أم كلثوم للشاعر يحيى محمد الدور الثانى وهو بعنوان «إمتى الهوى» .. ذلك الدور الذى ذكره الأديب الروائى نجيب محفوظ فى إحدى رواياته المشهورة نظراً لتأثير هذا الدور على المستمعين ونجاح الملحن زكريا أحمد فى وضع ألحان جديدة له.

ومما يقال فى هذا السياق.. أن الشاعر يحيى محمد كان قد نشر هذا الزجل فى إحدى الصحف وقرأته أم كلثوم فطلبت من الملحن زكريا أحد أن يضع له لحناً مناسباً.. لكى تغنيه .. وبالفعل تم ذلك فى عام ١٩٣٦.

ويشير المؤرخ كمال النجمى إلى أن هذا الدور «إمتى الهوى» قد دخل التاريخ عبر مقالات بعض الأدباء، ومنهم نجيب محفوظ الذى أشار إليه فى رواية «خان الخليلى» عندما وصف فى سياق هذه الرواية «قعدة» فى حى الحسين تحدث فيها الأصدقاء عن الغناء.

وتقول كلمات هذا الدور الذى شدت به أم كلثوم فى عام ١٩٣٦:

إمتى الهوى يجى سوا ... وأرتاح ولو فى العمر يوم
ياناس أنا قلبى أنكوى ... وعنيه ما بيهواها نوم
فى شرع مين يامنصفين ... العمر كله لوم فى لوم
لبه يانرى حيرتنى ... يادى الهوى بملاعبتك
أيه يعنى لوريحتنى ... وعملت غيرى لعبتك
وتميل عليه وتقول له لبه ... طاوعتنى ماهى غلطتك

***

وفى أواخر عام ١٩٣٨ كتب الشاعر يحيى محمد زجلاً مطلعه «ماكنش ظنى فى الغرام» .. ونشره أيضاً فى إحدى المجلات، وقرأه زكريا أحمد فأعجبه وعرضه على أم كلثوم وقال لها إنه يصلح دوراً غنائياً وهكذا شرع زكريا أحمد فى تلحينه ليكون أخر دور تغنيه أم كلثوم فى عام ١٩٣٩ [١].

وتقول كلمات هذا الدور:

---

(١) تراث الغناء العربى - مصدر سابق.

ماكانش ظنى فى الغرام إنه هوان

وإن الجمال يضحك ويلعب بالعقول

أبكى وتفرح لبه كده حبى يهان

هو أنت عايز غير دموعى لك رسول

قلبى أسير .. لكن كتير.. على الضمير

إنك تشوف دمعى وتضحك للعزول

ياريت فؤادى من زمان تاب عن هواك

ياما نهيته وكان يقول عندى أمل

صدق وعودك وانتظر أيام صفاك

ده شىء محال هو الجمال عمره عدل

اشكى لمين .. وأحكى لمين .. يامنصفين

قلبى أسير .. لكن كتير.. على الضمير

إنك تشوف دمعى وتضحك للعزول

وقد سجلت أم كلثوم هذا الدور أيضاً على اسطوانات شركة أو ديون فى العام نفسه.

***

وينضم شاعرنا يحيى محمد.. إلى زميله الشاعر حسن صبحى.. فى عدم وجود معلومات كافية عن حياته الخاصة أو الأدبية.. وبالتالى سينطبق عليه ما سوف نطبقه على زميله.. عندما نعيد البحث عن معلومات عنهما.. تفيد هذه الأوراق .. وتفيد كل الباحثين..مع التأكيد على أن جهودنا لن تنقطع بخصوص هذا الأمر أو هذه المهمة حتى من بعد إصدار هذا الكتاب.

٧ حسين وعبدالرحمن وعلى

٣ أدوار مختلفة

وكان علينا استكمالاً لهذه الرحلة الشاقة سواء مع حنجرة أم كلثوم أو وسط الأوراق الصفراء. ضرورة الوقوف على بقية أسماء الشعراء والزجالين من الهواة من الذين كتبوا كلماتهم الجميلة والعذبة لسيدة القصيدة العربية .

ولما كنا قد لاقينا فى عملنا هذا الشىء الكثير من الصعوبة فيما يخص الحصول على معلومات بشأن شعراء أم كلثوم من الهواة خاصة هؤلاء الثلاثة حسين والى وعبدالرحمن فياض وعلى شكرى ، فلقد رأينا الاكتفاء بنشر نصوص ما تغنت به أم كلثوم لهؤلاء الشعراء تاركين مهمة كتابة معلومات عن هؤلاء الثلاثة لغيرنا من الذين إذا ما صادفهم الحظ عثروا على معلومات عن سيرة حياتهم..ونحن نشك فى ذلك.

لكننا لانقطع الأمل..ونظن أن نشر هذه النصوص سوف يسهم كثيراً فى إكمال دائرة شعراء أم كلثوم خاصة من طائفة الهواة!

ومما هو واضح من قراءة تواريخ غناء أم كلثوم لقصائد هؤلاء الزجالين الثلاثة.. أنها تعرفت أولاً على كلمات الشاعر الزجال حسين والى؛حيث غنت له دور بعنوان : روحى روحك .. فى عام ١٩٣١ من ألحان داود حسنى.. وقد سجلته أم كلثوم فى العام نفسه على أسطوانة جرامفون ..

وتقول كلمات هذا الدور:

كل ما يزداد رضا قلبك على ... كل ما يخاف قلبى من نار الآسية
واللى شاف نور الغرام ... يخشى نار
والهوى كاس المرام ... فيه مرار
طمن القلب اللى ... زاد وجده علىّ
يا حبيبى يكفى طول بعادك ... الحياة فكر وسهاد من غير ودادك
إرحم الولهان فى حبك ... من شجونه
واحيى آماله بقربك ... من عيونه

تبقى طول العمر أيام هنية

***

وأثناء قراءاتى المتعددة لكتاب وقع مصادفة فى يدى.. عن حياة الشيخ عبدالعزيز جاويش.. عرفت أن حسين والى .. زجال أم كلثوم كان من خريجى مدرسة دار العلوم العليا..وقد عاصره الشيخ جاويش عندما التحقا سويا بإحدى جامعات لندن فى أوائل القرن الماضى! وقلت فى نفس ربما يكون حسين والى هذا هو المقصود بكتابة الزجل لأم كلثوم، وحتى لو لم يكن هوالشخص المعنى، فقد نوهنا عنه هنا .. بما توافر لدينا من معلومات. نراها قليلة وشحيحة للغاية!

وفى العام نفسه غنت أم كلثوم أغنية أخرى للزجال حسين والى.. وهى التى تقول فيها من ألحان داود حسنى أيضاً:

روحى وروحك فى امتزاج ... فى الحب من قبل الوجود
كاس الفراق مالوش علاج ... والعشق من طبعه الوعود
قالوا الحياة فيها ابتهاج ... والحب فيه سعد السعود
لكن حياة فيها العذاب ... والوصل فيه لو كان يعود
قلبى يميل ليه للجمال ... والعشق من عذبه العذاب
إن مال له خله نال وصال ... وإن مل ليه يرعى العتاب
حال الحياه دة طيف خيال ... فيه مراد حلو الشراب
لو يصبر العاشق ينول ... والصبر مفتاح كل باب

***

وفى عام ١٩٣٦ .. غنت أم كلثوم دور «مين اللى قال إن القمر» للشاعر الزجال عبدالرحمن فياض ومن تلحين الشيخ زكريا أحمد..

وتقول كلمات هذا الدور:

مين اللى قال إن القمر ... يشبه لمحبوب الفؤاد
حسن القمر يوم والحبيب ... حسنه دواما فى ازدياد
إمتى أنول وصله وأقول ... راح العزول مالوش أثر
الحب من طبعه الدلال ... أما القمر دا طبعه السكون
والكون ينور بالقمر ... أما الحبيب نورا لعيون
إمتى أنول وصله وأقول ... راح العزول مالوش أثر

***

وتختتم أم كلثوم سنوات غنائها للأدوار والطقاطيق بدءاً من أواخر عام ١٩٣٨ ومطلع عام ١٩٣٩ .. وذلك وفق تأكيد العديد من مؤرخى الفن الذين رصدوا النشاط الفنى لكوكب الشرق خلال هذه الفترة.. وكان من نصيب هذا الختام وكما سبق وذكرنا الزجال يحيى محمد الذى كتب لها دوراً بعنوان : «ماكانش ظنى فى الغرام..» وكذلك الزجال على شكرى الذى كتب لها طقطوقة بعنوان« ينوبك إيه من تعذيبى» ..وكانت من ألحان الموسيقار الكبير محمد القصبجى.

وتقول كلمات هذه الطقطوقة:

ينوبك إيه من تعذيبى ودمع عينى ... حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ
ياماشكيت من طول النوح ... سهرت الليالى يانور العين
ياما بكيت ياحبيب الروح ... لكن أجيب الصبر منين
عليل ضناه قلبه المجروح ... حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ
خايف يطول هجرك فىّ ... وأعيش غريب عنك وحدى
وتنفرح العذال فىّ ... ياريت تشوف اليوم وجدى
حبيب ضناه قلبه المجروح ... حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ
أبات أفكر فى منامى ... وأقول يعود عطفك تانى
ما لقيت ياروحى غير أوهامى ... ولاسمير غير ألحانى
عليل ضناه قلبه المجروح ... حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ
تعالى هنى فؤادى اليوم ... واعطف على قلبى الحيران
وخلى عينى تشوف النوم ... وأرحمنى من كثر الأحزان
عليل ضناه قلبه المجروح ... حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ

***

ومما ذكره كتاب أغنيات أم كلثوم فى الهامش أن هذه الطقطوقة غنتها أم كلثوم يوم ٥ يناير عام ١٩٣٨ .. ولم تسجلها على أسطوانات.